ظاهرة الإدغام عند الثعالبيّ (٨٧٥هـ) في تفسيره الجواهر الحسان

دراسة صوتيّة

عبد الجبار أحمد محمد الداوودي [١] إبراهيم عبود ياسين السامرائي[٢]

[١] قسم اللغة العربية، فاكلتي التربية، جامعة كويه، إقليم كوردستان، العراق
[٢]قسم اللغة العربية، فاكلتي التربية، جامعة كويه، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

يتناول هذا البحث بالدراسة ظاهرة من الظواهر الصوتية في تفسير (الجواهر الحسان) للثعالبيّ (ت٨٧٥هـ)، وهي: (الإدغام) الذي يحدث بسبب تأثر الأصوات ومجاورة بعضها لبعض، وغالباً ما يكون في البيئات البدائية التي تميل إلى السرعة في نطق الكلمات، ومزج بعضها مع بعض، وعدم إعطاء الحرف حقّه الصوتيّ في النطق به. ويعدّ الإدغام وسيلة من وسائل التخفيف من الثقل في الكلام، والتخلّص من الأصوات المتماثلة، أو المتقاربة في المخرج؛ لأنّ العرب يستثقلون أن يميلوا ألسنتهم عن موضع ثمّ يعيدوها إليه؛ لما في ذلك من الكلفة على اللسان، إذ يتطلّب جهداً عضلياً أكثر لأعضاء النطق في تكرار عملها، ممّا يسبب تكلّفاً في إخراج الصوت. وقد أشار علماء العربية وغيرهم من علماء التجويد والقراءات في كتبهم ومؤلّفاتهم إلى الإدغام، وذكروا له أقساماً مختلفة، بحسب الاعتبار الذي يقوم عليه أساس التصنيف، في تفاوت درجة التأثر بين الأصوات فيما بينها، فبحسب الحركة والسكون في الصوت المدغم ينقسم الإدغام إلى:كبيرٍ وصغير، وبحسب نسبة التأثر والتأثير بين الصوت المُدغَم والمُدغَم فيه ينقسم إلى: تامّ وناقص، وينقسم بحسب مقدار التشابه بين الأصوات التي يحدث فيها الإدغام إلى: إدغام المتماثلين، والمتجانسين، والمتقاربين، وقد أخذ الباحثان في دراستها بهذا التقسيم ؛ لملاءمته مع ما ورد في تفسير (الجواهر الحسان) من مسائل، ويستعمل المحدثون لهذه الأقسام الثلاث مصطلح: المقبل والمدبر والمتبادَل، وقد تمثّلت كلّ هذه الأقسام في تعدّد أوجه القراءات القرآنية، التي تعدّ صورة واضحة لاختلاف اللهجات العربية التي كانت تُؤثِر بعضها الإدغام على الإظهار. ويرد إلى جانب مصطلح الإدغام مصطلح آخر هو الفكّ أو الإظهار في الحرفين المتماثلين، وهو من الظواهر الصوتيّة المعروفة في العربية، ولهجة من لهجات القبائل العربية، وقد نزل القرآن الكريم بها جميعاً.

مفاتيح الكلمات: الإدغام، تأثّر الأصوات، المتبادَل، المُدبِر، المُقبل

١. المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد: فإنّ الدرس الصّوتي يشكّل أحد الجوانب الرئيسة في دراسة اللغة؛ لأنّ اللغة إنّما هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم (ابن جنّي، د.ت، ٣٣/١)، وقد أدرك القدماء من علماء العربية أهمية الأصوات منذ وقت مبكّر، فعكفوا على دراستها، وذكروا مخارجها وصفاتها، ووضعوا القواعد والقوانين لتلك الأصوات وخصائصها وعلاقاتها مع بعضها.

ولم تقتصر دراسة الأصوات على علماء اللغة وحدهم، بل شاركهم فيها أيضاً علماء التجويد والقراءات الذين كانت لهم دراسات مستفيضة؛ لصلتها الوثيقة بالقراءات القرآنية، وطريقة أدائها بشكل صحيح.

ومن الدراسات الصوتية التي عُني بها اللغويون وغيرهم من علماء التجويد والقراءات، وألّفوا فيها مصنّفات مستقلّة: الإدغام الذي يحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، إذ كان الغرض منه: التخفيف من الثقل، والتخلّص من الأصوات المتماثلة أو المتقاربة؛ لأنّ العرب كانت تستثقل الجمع بين حرفين متحرّكين من جنس واحد؛ لذا أسقطوا حركة الأول وأدغموه في الثاني؛ لأنّ ذلك يتطلّب جهداً عضلياً أكثر لأعضاء النطق في تكرار عملها، وهذا ما يُسبّب تكلّفاً في إخراج الصوت.

وقد قسّم العلماء الإدغام إلى أقسام مختلفة، بحسب الاعتبار الذي يقوم عليه أساس التصنيف، فقسّموه ـ مثلاً ـ بالنظر إلى مقدار التشابه بين الأصوات التي يحدث فيها الإدغام إلى: إدغام المتماثلَين، والمتجانسَين، والمتقاربَين، وغيرها من التقسيمات الأخرى.

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٣، العدد ٢ (٢٠٢٠)
أُستلم البحث في ٢٥ حزيران ٢٠٢٠؛ قُبل في ٢١ تموز ٢٠٢٠
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ٣١كانون الاول ٢٠٢٠
البريد الإلكتروني للمؤلف: Abduljabar.ahmad@koyauniversity.org
حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٠ **عبد الجبار أحمد محمد الداوودي، إبراهيم عبود ياسين السامرائي** هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية CC BY-NC-ND 40-.

فجاء هذا البحث للوقوف على هذه الظاهرة الصوتية في أحد تفاسير القرآن الكريم، ألا وهو: تفسير (الجواهر الحسان) للثعالبيّ (ت ٨٧٥هـ)، والمنهج المتبع ـ من قبل الباحثَين ـ في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي القائم على عرض الظاهرة وتحليلها.

ويشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. أمّا التمهيد فكان في أهمية الإدغام في الدراسات الصوتية، وتعريفه لغة واصطلاحاً، والفائدة منه، وأقسامه. وأمّا المباحث الثلاثة فجاءت للحديث عن أقسام الإدغام وأمثلتها في تفسير (الجواهر الحسان)، وعلى النحو الآتي: المبحث الأول: إدغام المتماثلَين، المبحث الثاني: إدغام المتجانسَين والمبحث الثالث: إدغام المتقاربَين. ثمّ جاءت الخاتمة للوقوف على أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج. وختاماً نرجو أن نكون قد وفّقنا في هذا العمل، وأعطينا الموضوع حقّه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

٢. التمهيد:

الإدغام ظاهرة صوتية تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، وغالباً ما يكون ذلك في البيئات البدائية التي تميل إلى السرعة في النطق ببعض الكلمات، ومزج بعضها ببعض، إذ لا يُعطَى الحرف حقه الصوتي في النطق به (أنيس، ١٩٧٥م، ١٧٨ـ ١٧٩، محيسن،١٩٨٨م،١/١١٣).

ويُعَدّ الإدغام أحد الظواهر اللغوية التي نالت اهتمام علماء العربية القدماء، إذ وضعوا لها ضوابط وقواعد عدة (محيسن، ١٩٨٨م، ١/١٠٨)، وفي مقدّمتهم سيبويه، الذي اتّخذ من هذه الظاهرة منطلقاً لدراسة الأصوات العربية كلّها، ومن يراجع كتابه يجد الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها، مندرجاً تحت باب الإدغام (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣١ ـ ٤٨٥، ومواضع أخر متفرقة).

وقد كان لعلماء التجويد والقراءات عناية كبيرة بالإدغام، إذ أفردوا له في كتبهم باباً خاصّاً، ذكروا فيه تعريفه وشروطه وحروفه وأحكامه (القيسي، ١٩٧٤م، ١٥٠ و١٦٣، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٣).

ولم يكن علماء اللغة المحدثون بمنأى عن هذا الاهتمام، فقد كانت لهم أيضاً دراسات مستفيضة في هذا المجال، إذ عالجوا ظاهرة الإدغام صوتياً، في ضوء المعطيات اللغويّة الحديثة تحت ما أسموه (المماثلة الصوتية)، أمثال د. إبراهيم أنيس (أنيس، ١٩٧٥م، ١٧٨، وما بعدها، و٢٥١)، ود. تمّام حسّان (حسّان، ١٩٧٣م، ٢٧٩)، ود. عبد الصبور شاهين (شاهين، ١٩٨٧م، ١٢١)، وغيرهم.

وعلى الرغم من تلك الجهود التي بذلها المحدثون في الدراسات الصوتية، يؤخذ عليهم أنّهم أهملوا (كتب علم التجويد التي تتضمّن دراسة للأصوات اللغويّة لا تقل في أهميتها عن جهود علماء العربيّة، فلم يستخدم أحد منهم تلك الكتب...مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني وأصيل) (الحَمَد، ١٩٨٦م، ٥).

وقد بيّن الدكتور غانم قدوري الحمد أنّ السبب في عزوف المحدثين عن تلك الكتب هو أنّ معظمها لم تكن مطبوعة آنذاك، وكانت بعيدة (عن متناول أيدي الباحثين، ولعلّ ذلك هو أحد الأسباب التي حالت بين الباحثين المعاصرين والاستفادة من المادّة الصوتية التي تضمنتها تلك الكتب) (الحَمَد، ١٩٨٦م، ١١).

ويتضح مما سبق أن الإدغام باب واسع من أبواب اللغة، لذا نجد قضاياه ومسائله موزّعة بين النحاة وغيرهم من علماء التجويد والقراءات، ولا غرو في ذلك؛ لأنّ معظم النحاة الأوائل كانوا نحويين وقرّاء في آن واحد، كأبي عمرو، والكسائي، أو كانوا نحاة، وعلى دراية بالقراءات كالخليل وسيبويه.

١.٢ تعريف الإدغام:

الإدغام لغةً: إدخال شيء في شيء، يقال: (أدغمتُ الفرسَ اللجامَ، أي: أدخلته في فيه (الخليل، ١٩٨٨م، ٤/ ٣٩٥ (الباذش، ١٠٤٣ هـ) (الجزري، (د.ت)) (جني، ١٩٧٠م) (جني، الخصائص، (د.ت)) (جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ١٩٩٩ م) (جني، المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني، ١٩٥٤م) (خالويه، ١٤٠١هـ) (السراج، ١٩٨٥م) (الأندلسي، ١٤٢٢هـ) (البغدادي، ١٩٥٤م) (يعيش، (د.ت)) (يعيش، شرح الملوكي في التصريف ، ١٩٧٣م) (الأندلسي أ.، ٢٠٠١م(، الجوهريّ، ١٩٨٧م، مادة (دغم)، ٢/ ١٤٢١).

واصطلاحاً: هو (تقريب صوت من صوت) (ابن جنّي، د.ت، ١٤١/٢)، وذلك بأن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرّك مثله أو مقاربه، فيصيران كحرف واحد، فينبو (يرتفع) اللسان عنهما نبوة واحدة (القيسيّ،١٩٨٧م، ١٤٣/١، وابن السّراج، ١٩٨٥م، ٣/ ٤٠٥).

ويطلق بعض المحدثين على الإدغام مصطلح (المماثلة) (أنيس،١٩٧٣م، ٧٠)، أو (المماثلة الكاملة) (عمر، ١٩٧٦م، ٣٣٢)، أو التأثر بين الأصوات) (بروكلمان، ١٩٨٣م، ٥٦). وعلى الرغم من اختلاف المحدثين في تسميتهم للإدغام، إلّا أنّ تصوّرهم لطبيعته لم يختلف كثيراً عن تصورا لقدماء، فالإدغام عند بعضهم هو: (عبارة عن فناء الصوت الأوّل في الثاني، بحيث يُطَق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني) (أنيس، ١٩٧٥م، ١٧٨).

٢.٢ فائدة الإدغام:

يرى اللغويون من علماء العربية وغيرهم، أنّ فائدة الإدغام والغرض منه، هو: التخفيف في الكلام (ابن يعيش، د.ت، ١٢١/١٠، وابن يعيش، ١٩٧٣م، ٤٥١/١)، لأنّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى المخرج نفسه، ليطق بحرف آخر مثله صَعُب عليه ذلك.

فالإدغام ـ إذاً ـ وسيلة من وسائل التخفيف من الثقل، والتخلّص من الأصوات المتماثلة، أو المتقاربة؛ لأنّ العرب بطبيعتها تكره الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد، لذا أسقطوا حركة الأول وأدغموه في الثاني (أبوبكر الأنباري، ١٩٦٣م، ٣٥)؛ لأنّ تكرار الحرف يتطلّب جهداً عضلياً أكثر لأعضاء النطق في تكرار عملها، مما يسبب تكلُّفاً في إخراج الصوت (الجبوري، ٢٠٠٠م، ٨٢).

وتنسب ظاهرة الإدغام إلى قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيّها، كتميم وما جاورها (شاهين، ١٩٨٧م، ١٢٢ـ ١٢٣)ويرى بعض المحدثين (كالدكتور: أحمد علم الدين الجندي، ١٩٧٨م، ٢٩٣/١)أنّ الإدغام كان يغطي مساحة أوسع من ذلك، إذ كانت قبائل مثل عقيل، وعامر بن صعصعة، وبكر بن وائل وغيرها، تميل إلى الإدغام، حتى وصل إلى الحجاز، فقد ورد في الحديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)أنه قال: (أيّما رَجُلٍ من المسلمين سببتُهُ، أو لَعنتُهُ، أو جَلَدْتُه)، بإدغام التاء في الدّال (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١٣٥/١).والحديث أخرجه مسلم، ١٩٩١م، ٢٠٠٧/٤، وتمامه: (أللّهم إنّما أنا بشر فأيّما رَجُلٍ من المسلمين سَبَبْتُهُ، أو لَعَنتُهُ، أو جَلدتّه، فاجعلها له زكاة ورحمة).

٣.٢ أقسام الإدغام:

للإدغام تقسيمات عديدة، بحسب الاعتبار الذي يقوم عليه أساس التصنيف، فبالنظر إلى نوع العلاقة، ومقدار التشابه بين الأصوات التي يحصل فيها الإدغام، قسّم علماء التجويد الإدغام على ثلاثة أقسام (ابن الجزري، د.ت، ٢٧٨/١):

١. إدغام المتماثلين: وهو أن يتفق الصّوتان المدغمان مخرجاً وصفة، كالباء والباء، والتاء والتاء، والجيم والجيم.
٢. إدغام المتجانسَين: وهو أن يتفق الصّوتان المدغمان مخرجاً، ويختلفا صفة، نحو: التاء والطاء، واللام والراء، والدال والتاء.
٣. إدغام المتقاربين: وهو أن يتقارب الصوتان المدغمان مخرجاً وصفة، أو مخرجاً فقط، أو صفة فقط، كالدال والسين، والضاد والشين، والثاء والتاء.

وهذا هو التقسيم الذي اعتمدناه في هذه الدراسة؛ لكونه أكثر توافقاً مع ما أورده الثعالبيّ من مسائل الإدغام في تفسيره (الجواهر الحسان).

والجدير بالذكر أن معظم علماء العربية والتجويد القدماء لم يميّزوا بين إدغام المتقاربين والمتجانسين، إذ استعملوا مصطلح المتقاربين للدلالة على كلا النوعين معاً (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٧٣/٤، وابن جنّي، د.ت، ١٣٩/٢، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٦٣١/٢).

ولم يرد لمصطلح المتجانسين ذكر في مؤلّفاتهم، حتّى جاء المتأخّرون وميّزوا بين المصطلَحين (الحَمَد، ١٩٨٥م، ٣٣٧)، وكانوا في هذا أكثر دقة (البكري، ٢٠٠٩م، ٧٤). ومن العلماء من يقسّم الإدغام بحسب الحركة والسكون في الصوت المدغَم على قسمين: كبير وصغير (ابن جنّي، د.ت، ٢/ ١٣٩ـ١٤١، وابن الجزري، د.ت، ٢٧٤/١ـ٢٧٥، والسيوطي، ١٩٧٤م، ٩٤/١).

فالكبير: هو ما كان أوّل الحرفين فيه متحرّكاً، سواء أكانا مِثلَين أم جنسين أم متقاربين (ابن الجزري، د.ت، ٢٧٤/١)، ويقع في كلمة، نحو: (أَتُحَاجُّونِّي) الأنعام: ٨٠، و (تَأْمَنَّا) يوسف: ١١، وأصلها: أتُحاجِجُونَنِي، وتأْمَنُنَا، أو في كلمتين، نحو: (لذهبَ بِسمعِهِم) البقرة: ٢٠، و (الشوكةِ تَكون) الأنفال: ٧. وقد اختُلف في سبب تسميته كبيراً، فذكر ابن الجزري أنّه سمّي كبيراً؛ لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل: لتأثّره في إسكان المتحرّك قبل إدغامه، وقيل: لما فيه من الصعوبة في إدغامه ولفظه، وقيل لشموله نوعي المثلَين والجنسين والمتقاربَين (ابن الجزري، د.ت، ٢٧٤/١ـ ٢٧٥، ٢/٢). وينسب هذا القسم من الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء، وغيره من القرّاء، كالحسن البصريّ، وابن محيصِن، ويعقوب الحضرمي (ابن القاصح، ١٩٥٤، ٣٣، وابن الجزري، د.ت، ٢٧٥/١).

والصغير: هو ما كان أول الحرفين فيه ساكناً والثاني متحرّكاً (ابن الجزري، د.ت، ٢٧٥/١، ٢/٢)، ويقع في كلمة أو كلمتين، وسُمّي صغيراً؛ لقلّة ما فيه من عمل، إذ يدغَم مباشرة من دون حاجة إلى تسكين للحرف الأوّل (الحَمَد، ١٩٨٥، ٣٩٩، ومحيسن،١٩٩٨، ١/ ١١٣).

وينقسم الإدغام بحسب تفاوت نسبة التأثّر والتأثير بين الصوت المدغَم والمدغَم فيه إلى: تامّ وناقص (مكّي، ١٩٧٤،٢٣١، والحَمَد، ١٩٨٥،٣٩٥).

فالتامّ: ويسمى كاملاً، هو ما تأثّر الصوت الأوّل فيه بالثاني بشكل كامل، بحيث يندرج فيه ذاتاً وصفة، كإدغام النون الساكنة في الرّاء، نحو: (مِنْ رَبِّهِم) البقرة: ٥، إذ تقرأ: (مِرَّبِهِم)، إذ لم يبق معه أيّ أثر للصوت الأوّل.

والناقص: هو ما تأثّر الصوت الأوّل فيه بالثاني ذاتاً لا صفة، فانقلب ذات الحرف الأوّل إلى ذات الثاني ولم تنقلب صفته إلى صفته، بل بقي في التلفّظ، والصفة باقية من الحرف الأوّل، وهي:

- إمّا غنّةٌ كإدغام النون الساكنة والتنوين في الواو، نحو: (مِنْ وَلِيّ) البقرة: ١٠٧، إذ تقرأ: مِوّلِيّ، أو في الياء، نحو: (مَنْ يُجادِلُ) الحج: ٣، إذ تقرأ: مَيُّجادِلُ.
- وإمّا إطباقٌ، كإدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية، نحو: (أحَطْتُ) النمل: ٢٢.
- وإمّا استعلاءٌ، كإدغام القاف في الكاف، نحو: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم) المرسلات: ٢٠.

هذا عند القدماء، أمّا المحدثون من علماء الأصوات فقد درسوا ظاهرة الإدغام، وعدّوه نوعاً من أنواع (المماثلة)بين الأصوات، ووضعوا له مصطلحات خاصة، فالمستشرق الألماني برجستراسر استعمل لأنواع الإدغام مصطلحات ثلاثة، وهي: (مُقبِل، ومُدبِر، ومتبادل).

فالمُقْبِل هو: أن يؤثّر الحرف الأول في الثاني، مثل: (مُذَّكِر)، والأصل: (مُذْتَكِر)إذ قُلبت تاء الافتعال إلى جنس الحرف السابق له وهو (الذال)، وأدغِم فيه.

والمُدْبِر هو: أن يؤثّر الحرف الثاني في الأول، مثل: (عَبَدْتُ)فتصير في النطق (عَبَتُّ)، إذ قلب الحرف الأول وهو (الدال)، إلى جنس الحرف الثاني وهو (التاء)، وأُدغِم فيه.

وأما **المتبادَل** فهو: أن يُقلَب الحرفان الأول والثاني إلى حرف ثالث مخالف لهما، مثل: (مدَّكِر)، بالدال وأصلها: (مُذتَكِر)، إذ قُلبت الذال والتاء كلاهما إلى صوت الدال، فالتقى بذلك دالان، الأول منهما ساكن، والثاني متحرّك، فأُدغِم الأول في الثاني (برجشتراسر،٢٠٠٣م، ١٨ـ ١٩، والحَمَد، ١٩٨٥ م، ٣٩٤).

وذهب أحد الباحثين إلى أن التقسيمات الثلاث، أي: (المقبل، والمدبِر، والمتبادل)، تقابل إدغام المتقاربين (عناد، ١٩٩٤، ١٤٨ـ ١٤٩).

ومن المحدثين من وضع في مقابل (المدبر والمقبل) مصطلح (التأثر الرجعي)، و (التأثر التقدّمي)، ولم يضع مصطلحاً لـ (المتبادل) (أنيس، ١٩٧٥م، ١٨٠، والحَمَد، ١٩٨٥م، ٣٩٤).ويرجع السبب في ذلك إلى أن (المتبادل) يندرج تحت ما يسمّى بـ (المخالفة) (أنيس،١٩٧٥م، ٢١٠، والجندي، ١٩٧٨م، ٣٤٩/١)، وهو أحد القوانين الصوتية الذي (يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين) (عمر، ١٩٧٩م، ٣٢٩، والضّبغ،٢٠٠٧م، ٢٦٩)، ويهدف دائماً إلى الاقتصاد في الجهد العضلي (أنيس،١٩٧٥م،٢١٣)، كما في (دسّاها)من قوله تعالى: (وقد خاب مَن دَسّاها) (الشمس: ١٠)، وأصل الكلمة: (دسّسها)، فقلبت إحدى السينات منها ألفاً؛كراهة توالي ثلاث سينات (ينظر: العطيّة،١٩٨٣م، ٨٤ ـ ٩٠).ويستعمل بعضهم بدل (المقبل والمدبر)، مصطلح (مماثلة تقدمية) و (مماثلة رجعية) (عمر، ١٩٧٦،٣٢٥). وفيما يلي عرض للآيات القرآنية التي وردت فيها مسائل الإدغام عند الثعالبيّ، ثم تحليلها صوتيّاً وعلى النحو الآتي:

٣. إدغام المتماثلَين:

ويشمل ما يأتي:

أ. إدغام الراء في الراء:

في قوله تعالى: **(ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيدٌ)** (البقرة: ٢٨٢). قال الثعالبي: (واختلف الناس في قوله تعالى: (ولا يُضارَّ كاتبٌ ولا شهيد... (هل الفعل مسند إلى الفاعل، فأصله: ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد)ـ بكسر الرّاء ـ، وقيل: مُسنَد إلى المفعول الذي، لم يُسمَّ فاعله، فأصله: (ولا يُضارَرْ) بفتحها، وفكُّ الفعل لغة الحجاز، والإدغام لغة تميم) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٥٥٠/١).

ب. إدغام اللام في اللام:

في قوله تعالى: **(قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيمانِكُم)** (التحريم: ٢). قال الثعالبي: (والتَّحِلّة: مصدر وزنها تَفعِلة، وأدغم لاجتماع المثلين) (الثعالبيّ، ١٤١٨، ٤٥١/٥).

ج. إدغام الميم في الميم:

في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)**(النساء: ٥٨). قال الثعالبي: (ونِعِمّا: أصله (نِعْمَ ما)، سُكِّنت الميم الأولى، وأُدغِمت في الثانية، وحُرِّكت العين لالتقاء السّاكنَين، وخُصَّت بالكسر إتباعاً للنون) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٥٤/٢).

أشار الثعالبي فيما سبق من الأمثلة إلى ظاهرة الإدغام بين الحرفين المتماثلين، فذكر أنّ: (لايضارَّ)فيها وجهين من القراءة: الأول: بفكّ الإدغام وإظهار المثلين، أي: (يُضارِرْ)أو (يُضارَرْ)، ـ بكسر الرّاء الأولى وفتحها ـ، والثاني: بالإدغام، وأما (تحاّة)، و (نِعِمّا)، فذكر أنّ فيهما وجهاً واحداً من القراءة، وهو الإدغام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ظاهرة الإدغام بين الحرفين المتماثلَين قد وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، إلّا أنّ الثعالبيّ اكتفى بالإشارة إلى المواضع الثلاثة التي أشرنا إليها قبل قليل.

وهناك أمور تتعلّق بـ (يُضارّ)لا بد من الإشارة إليها، وهي كالآتي:

١. لم يختلف أحد من القراء السبعة في قراءة (يُضارّ)بإدغام المثلين، وإنمّا وقع الخلاف في قراءة (لا تُضارْ): بتخفيف الراء وإسكانها (قرأ بها أبو جعفر المدني. يظر: ابن الجزري، د.ت، ٢٢٧/٢، والدمياطي، ٢٠٠٦م، ٢٠٤)، أمّا القراءة بفكّ الإدغام (لا يُضارِرْ (أو (لا يُضارَرْ) فهو منسوب إلى بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم (قرأ بها من الصحابة: عاصم، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود، وقرأ بها من التابعين: الحسن البصري. الأندلسي،٢٠٠١م، ٢/ ٧٤١، والسمين الحلبيّ، د.ت، ٤٦٧/٢).

٢. الفك والإدغام في الحرفين المتماثلين ظاهرتان من الظواهر الصوتية المشهورة عند العرب، فقد ذكر سيبويه أنّ العرب مجمعون على إدغام المثلين في الفعل الماضي إذا تحرّك الثاني منهما، قال: (والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد، وذلك نحو: ردَدْتُ، ووَدَدْتُ...فإذا تحرّك الحرف الآخِر، فالعرب مجمعون على الإدغام) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠).

لكنهم اختلفوا في فعل الأمر والمضارع المجزوم، في نحو: اردُدْ واجترِرْ، وإن تضارِرْ أضارِرْ، إذ نسب سيبويه فكّ الإدغام فيهما إلى الحجازيين، والإدغام إلى تميم وغيرهم من قبائل العرب ووصفهم بالكثرة (سيبويه، ١٩٨٨م، ٥٣٠/٣، والنعيمي، ١٩٨٠م، ١٧٠).

وقال ابن جني في تعليقه على هذه اللفظة: (أمّا التشديدفلا سؤال فيه؛ لأنّه يريد يضارر بفتح الراء الأولى أو بكسرها، وكلاهما قدقرئ به، أعني الفتح في الراء الأولى والكسر، والإدغام لغة تميم، والإظهار لغة الحجازيين) (ابن جنّي، ١٩٩٩م، ١٤٨/١).

وذكر ابن عصفور أنّ سبب ميل الحجازيين إلى فكّ المثلين هو أنّ (الإدغام يؤدي إلى التقاء الساكنين؛ لأنك لا تدغم في الثاني حتّى تُسكِّنه، لئلاّ تكون الحركة فاصلة بين المثلين، والثاني ساكن فيجتمع ساكنان. فلمّا كان الإدغام يؤدي إلى ذلك رفضوه، وذلك نحو: إنْ تَرْدُدْ أَرْدُدْ، ولا تُضارَرْ، واشْدُدْ) (ابن عصفور، ١٩٧٩م، ٤١٦/٢).

التقاء الساكنين الذي أشار إليه كلٌّ من سيبويه وابن عصفور عند إدغام المثلين كما حدث في: (لا يضارَ)لا يُعَدّ خروجاً على قواعد اللغة، لمجيئه على القياس؛ لأنّ من شروط التقاء الساكنين عندهم أن يكون الأول منهما حرف مدّ ولين، والثاني حرفاً مدغماً فيما بعده، في كلمة واحدة، نحو: (شابّة، ودابّة) (ابن يعيش، د.ت، ١٢١/٩، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٣٤١/٢)، وأصلها: شابِبَةٌ، ودابِبَةٌ، وهذا ما حدث في: (لايضارَرَ)حيث التقت الألف وهي حرف مد ساكن مع الراء الأولى وهي ساكنة أيضاً، وأدغمت في الراء الثانية المتحركة، فصارت: (لا يضارَّ).

والعلّة في جواز التقاء الساكنين في: (يضارّ)، هو أن الساكن الأول حرف مدّ، وحرف المد عند أهل اللغة بمنزلة الحرف المتحرّك، قال سيبويه: (وإذا كانت قبل المسكّنة ألف لم تغيّر الألف، واحتملت ذلك الألف، لأنها حرف مدّ، وذلك قولك: رادّو، ومادّوا، والجادّة، فصارت بمنزلة متحرّك) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤١٩/٤، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢/ ٣٤١). ويتّضح مما سبق أنّ الفكّ والإدغام ظاهرتان لهجيتان من لهجات العرب، وكل منهما فصيحة في اللغة والاستعمال، وقد نزل القرآن الكريم بهما، إلاّ أنّ فكّ المثلين أكثر من الإدغام (السيوطي، ١٩٧٤م، ١٣٥/١).

والجانب الصوتي الذي يقف وراء ظاهرتي الفكّ والإدغام ـ كما في الأمثلة السابقة هو، أنّ الواقع اللغوي يُثبِت أن فكّ الحرفين المتماثلين هو الأصل (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١/ ٤١٣)، والذين جنحوا إليه، وجدوا أن هذا النوع من الإدغام يتطلّب إحداث تغييرين صوتيين في الكلمة:

الأوّل: تسكين الصوت الأوّل، المتحرّك في الأصل، ليُمكن إدغامه في الثاني، كما في: (يُضارِرْ).

والثاني: تحريك الصوت الثاني، الساكن في الأصل، لئلاّ يجتمع ساكنان، وفي هذا الإدغام نوع من التكلّف، لذا آثروا الفكّ على الإدغام.

وهذا فيما كان المدغم فيه مجزوماً، نحو: (يُضارِرْ). أمّا إذا لم يكن المدغم فيه مجزوماً، فيكون بتسكين أوّل المثلين وتحريك الثاني؛ لأن القياس في الإدغام، سكون الأول وتحرُّك الثاني (الأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢٣٤/٣).

ويلاحظ على هذا الأدغام أنّ الصوت الأول قدتأثّر بالصوت الثاني؛ لذا أدغم فيه، وهذا ما يطلق عليه المحدثون (التأثر الرجعي)، وهو أكثر أنواع الإدغام شيوعاً في العربية (أنيس، ١٩٧٣م، ٧٠).

أمّا التعليل الصّوتي لظاهرتي الإظهار والإدغام في الأمثلة التي التقى فيها المثلان، فهو كالآتي:

- إنّ إظهار المثلين هو الأصل؛ لأنّ الأصل في الكلام أن يكون مظهراً، وإذا كان المثلان منفصلين، ومتحرّكَين جازفيهما الإظهار والإدغام، وذلك أنّ المثلين غير متلازمَين ـ في الانفصال ـ مثل تلازمهما، إذا كانا في كلمة واحدة؛ إذ لا يلزم أن يكون ما بعده مثله (ابن يعيش، د.ت، ١٢٢/١٠، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٦٥٠/٢).
- وأمّا الإدغام فعلته: اجتماع المثلين، وتجاورهما، وهو مستثقل على لسانهم؛ لأنّه يؤدّي إلى تكرار الحرف الذي تكلّموا به قبلاً، فيكون ذلك تقييداً لألسنتهم، لذا مالوا إلى الخفة: وذلك بإخضاع المِثل الأول للتسكين ثم إدغامه في الثاني (ابن يعيش، د.ت، ١٢١/١٠، وابن يعيش، ١٩٧٣م، ٤٥١)، فذلك أخفّ عليهم؛ لأنّ اللسان في الإدغام يرتفع دفعة واحدة، فيخفّ النطق بهما (ابن عصفور، ١٩٧٩ م، ٦٣١/٢).

٤. إدغام المتجانسين:

أ. إدغام التاء في الدّال:

جاء ذلك في قوله تعالى: **(حتّى إذا ادّارَكُوا فيها جميعًا)**(الأعراف: ٣٨). إذ قال الثعالبي: (معناه: تلاحقوا، أصله: تداركوا أُدغم فجُلِبت ألف الوصل) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٩/٣).

وفي قوله تعالى: **(بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُم فِي الآخِرَةِ)**(النمل: ٦٦). قال الثعالبي: (...وقرأ جمهور القرّاء: (بَلِ ادّارَك)، أصله: تدارك، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (بَلِ ادّرَك)، على وزن افتعل، وهي بمعنى تفاعَلَ) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٥٧/٤).

أشار الثعالبيّ في المثالين السابقين إلى ظاهرة الإدغام في الصوتين المتجانسين، وذلك بإدغام التاء في الدّال، إذ إنّ (ادّاركوا)، و (ادّارك)، أصلها: تداركوا، وتدارك، على وزن تَفاعَلوا، وتفاعَل، فلمّا إدغمت التاء في الدال، جيء بهمزة الوصل في أوّلها، وهذه قراءة المصحف.

وذكر ابن جنّي أن أبا عمرو بن العلاء قرأ: (إذا إدّارَكوا)بقطع الهمزة (ابن جنّي، ١٩٩٩م،١/ ٢٤٧)، وقد استشكلت عليه هذه القراءة (ابن جنّي، ١٩٩٩م، ٢٤٧/١، ٢٤٨)، وتابعه في ذلك بعض المفسّرين، كابن عطيّة الأندلسيّ (ابن عطيّة، ١٤٢٢هـ، ٣٩٩/٢)؛ لأنّ قطع همزة الوصل في العربية له حكمه ومظانّه: فهمزة الوصل يُؤتَى بها للتوصّل إلى النطق بالحرف الساكن في ابتداء الكلام (المالقي، ١٩٨٥م، ٣٨)؛ لأنّ الابتداء بالحرف الساكن متعذّر، ولكنّ هذه الهمزة تسقط في درج الكلام (المالقي،١٩٨٥م،٤٠، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢٦١/٢)، وإثباتها لحنٌ لا يجوز، إلاّ في ضرورة الشِّعر (الأستراباذي،٢٠٠٥م،٢٦٥/٢)، من ذلك قول الشاعر (البيت من الطويل، وهو لجميل بثينة، ١٩٩٢م، ٣٧):

ألا لا أرى إثنينِ أحسن شيمة على حدثان الدّهر منّي ومِن جُمل

وقول الآخَر: (البيت من السريع، وهو لأنس بن العباس بن مرداس. حدّاد، ١٩٨٤م، ١١٢). **لا نسَبَ اليومَ ولا خلّةَ إتّسَعَ الخرقُ على الراقِعِ**

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ قطع همزة الوصل خاصّ بالضرورة الشعرية، وقلّما تقع هذه الضرورة في الفعل، وإنما تقع في الاسم؛ وذلك لأنّ الفعل هو المكان الحقيقيّ لاستعمال همزة الوصل، التي لا تدخل على الاسم إلاّ إذا شابهت الفعل (ابن جنّي، ١٩٩٩م، ٢٤٨/١)، ولذلك لم تدخل إلاّ على عشرة أسماء فقط (الأستراباذي، ٢٠٠م، ٢٥٠/٢)، في حين نجد أنّ همزة القطع تكون في الأسماء، فلمّا كان مجيئها في الاسماء كثيراً، وتعوّدتها الألسنة، جاز قطعها في الاسم (ابن جنّي، ١٩٩٩م، ٢٤٨/١).

أمّا (ادّارك)فقد ورد فيها قراءة أخرى شاذّة وهي: (تَدارَك)، وعلّل ابن جنّي لهذه القراءة بقوله: (فإنه أصل قراءة من قرأ: إدّارك، وذلك أنه في الأصل: تَدارَك، ثمّ آثر إدغام التاء في الدال؛ لأنها أختها في المخرج فقلبها إلى لفظها، وأسكنها، وأدغمها فيها، واحتاج إلى ألف الوصل، لسكون الدال بعدها) (ابن جنّي، ١٩٩٩م، ٢/ ١٤٣).

والتعليل الصوتي لإدغام التاء في الدال، كما حدث في: (ادّاركوا، وتداركوا) هو: أنّ أصل هاتين الكلمتين هو: (تداركوا، وتدارك)، على وزن تفاعَل، فاجتمع فيها صوتان متحدان في المخرج، وهما: التاء والدال، إذ يخرجان من طرف اللسان وأصول الثنايا، وتتصفان بالشدّة (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣٣، ٤٣٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م، ٦٠/١، ٧٥).

وهذا ما جعل التجانس بين الصوتين عميقاً، والتماسك بينهما شديداً، ولهذا وصفها بعض الدارسين المحدَثين بأنها من الأصوات الأسنانية اللثوية الشديدة (الانفجارية) (أنيس، ١٩٧٥م، ٤٨،٦١، وزين العابدين، ١٩٨٨م، ٧٨)، وبسبب هذا التقارب الموجود بينهما، أدغِمت التاء في الدال، وذلك بعد أن أبدِلت التاء دالاً، وسُكِّنت، فتعذر الابتداء بالساكن، فاجتلبت همزة؛ لكي يُتوصَّل بها إلى النطق بالحرف الساكن (القيسيّ، ١٩٨٤م،١/ ٢٩٠).

والذي يلاحظ على هذا الإدغام هو أنّ الصوت المهموس قد تحوّل فيه إلى صوت مجهور؛ وذلك لأن الصوتين إذا اختلفا في صفتي الجهر والهمس، فإن السهولة تستلزم أن يُجعلا إما مجهورين، كـ (ادّكَر)، و (ازدَجَر)، أو مهموسين كـ (اصطبر)، و (اطّرد) (زين العابدين، ١٩٩٨م، ١٧٧)؛ لصعوبة الانتقال من مخرج صوتٍ مجهور إلى صوتٍ مهموس. وهذا الإدغام الذي حدث بين التاء والدال يسميه المحدثون (التأثّر الرجعي) (أنيس، ١٩٧٣م، ٧٠، والراجحي، ٢٠١٥م، ١٣١)، أو المماثلة الرجعية (زين العابدين، ١٩٩٨م، ١٨١)، إذ تأثّر فيه الصوت الأول بالثاني، فأدغِم فيه (أنيس، ١٩٧٣م، ٧٠).

ب. إدغام الدال في التاء:

وذلك في قوله تعالى: **(خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ في سِتّة أيّامٍ ثُمّ استَوَى على العَرشِ)**(الأعراف: ٥٤). قال الثعالبي: (سِتّةٌ أصلها: سِدْسَةٌ، فأبدلوا من السين تاء، ثمّ أدغموا الدّال في التاء، وتصغيره: سُدَيْسٌ وسُدَيسَةٌ) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٣٧/٣).

أشار الثعالبي في هذه الآية إلى ظاهرتين صوتيتين، وهما: إبدال السين تاءً، وإدغامها في الدال، كما حدث في: (ستّة)، التي أصلها: سِدسة.

وهذا ما أشار إليه معظم النحاة والصرفيون القدماء، إذ ذكروا أنّ أصل (ستّ): سِدسٌ، لكنه لم يُنطَق به في العدد، فأبدلوا من السين تاءً، وأدغموا فيها الدال (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٨١/٤ ـ ٤٨٢، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٧١٥/٢ ـ ٧١٦).

وهذا يعني أنّ أصل التاء المضعّفة فيها هو: الدال والسين، والدليل على ذلك قولهم في جمع سدس: أسداس (ابن عصفور، ١٩٧٩م، ٧١٥/٢).

وأوضح سيبويه السبب الذي دعاهم إلى قلب السين في: (سِدس)تاءً بقوله: (وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثُر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة وليس بينها حاجز قوي، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً فتلتقي السينات. ولم تكن السين لِتُدغَم في الدال؛ لما ذكرت لك، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء، كأنه قال: (سِدْتٌ)، ثم أدغم التاء في التاء) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٨٢/٤، ٤٨١، ابن عصفور،١٩٧٩م، ٢/ ٧١٥ ـ ٧١٦).

وممّن أشار إلى هذه القضية ـ أيضاً ـ ابن جني، ولكن بزيادة وتفصيل أكثر (ينظر: النعيمي، ١٩٨٠م، ٣٥٣)، إذ ذكر أنّ أصل: ستٌّ: سدس؛ (لأنها من التسديس، كما أن خمسةً من التخميس، ولذلك قالوا في تحقيرها: سُدَيسَة) (ابن جنّي، ٢٠٠٠م، ١٧٢/١)، وعلّل قلب السين الأخيرة تاءً؛ بأنهم أرادوا تقريبها من الدال فقلبوها تاءً، لما بينهما ـ أي: بين السين والتاء من صفة الهمس (فصار التقدير: سِدْتٌ، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربا في المخرج، أبدلوا الدال الثانية تاءً؛ لتوافقها في الهمس، ثم أدغمت التاء في التاء، فصارت: ستٌّ كما ترى) (ابن جنّي، ٢٠٠٠م،١٧٢/١).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض اللغويين القدماء، عدّ هذه اللفظة من قبيل الشاذّ (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٨١، والزجّاجي، ١٩٨٤م، ٣٨٠)، بل عدّها بعضهم من قبيح البدل (ينظر: الأنصاري، ١٩٨١ م، ٣٤٥).

أما المحدثون فيرون خلاف ذلك، إذ استبعد الدكتور عبد الصبور شاهين، أن يكون: (ستٌّ)، من باب قلب الدال سيناً ـ كما يبدو في الظاهر ـ وأن تكون السين في: (سِدْسٌ) تاءً، بل رجّح أن تكون مثالاً محفوظاً يفسّره اختلاف اللهجات أيضاً، لا تفاعُل الأصوات، فمن غير المعقول أن يَستبدل الناطق العربي الذي ينحو دوماً منحى السهولة بصيغة (سِدْس) صيغة (سِدْت)كي يصل منها إلى (سِتّ)، وذلك لسببين (شاهين، ١٩٨٧م، ١٣٠):

أحدهما: سهولة النطق بالصوت الرّخو (السين)عقب النطق بالصوت الشديد (الدال).

وثانيها: أنه ليس من الجائز أن يقال في: (سِدْتٌ): سِدٌّ على الإدغام التقدّمي القياسي، ومن أجل هنا يرجّح الدكتور شاهين أن تكون الكلمة في إحدى اللهجات: (سِدْسٌ)، وفي غيرها: (سِتٌّ)، ثم تداخلت اللهجات، واختلفت فاستُعمِلت الأخيرة في العدد العام، واستُعمِلت الأولى في حالة التصغير اللغوي: (سُدْس)، والاصطلاحي: (سُدَيسة) (شاهين، ١٩٨٧م، ١٣٠).

والذي يبدو لي أن ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين أقرب ما يكون إلى الصواب؛ وذلك لما ذكره من تعليلات تؤيد جنوح اللغة دوماً نحو السهولة والتخفيف. والمسوغ الصوتي لإدغام الدال في التاء هو: إنّ الصوتين متحدان في المخرج، ومتجانسان في صفة الشدّة، وليس فيهما استطالة، ولا إطباق، ولا تكرير (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٦٠/٤ ـ٤٦١، وابن يعيش، د.ت، ١٤٦/١٠).

وهذا التجانس الموجود بين الصوتين، هو الذي مهّد لإدغام كلّ منهما في الآخَر، إذ ليس بينهما فرق سوى في الجهر والهمس (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٦٠/٤ ـ٤٦١، وابن يعيش، د.ت، ١٤٦/١٠)، غير أنّ إدغام التاء في الدال أحسن من إدغام الدال في التاء، لأنّ (فيه إدغام الأقوى في الأضعف) (ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٣٣٩/٥)، وهذا ما لا يجوز عند جمهور اللغويين (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١٣٥/١ ـ ١٣٦، وابن جنّي، ١٩٩٩م، ١٤٠/١)؛ لأنه (ليس من أصول كلام العرب أن يردّوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردّوا الأضعف إلى الأقوى أبداً) (القيسيّ، ١٩٨٧م، ٣٤/١، والقيسيّ، ١٩٧٤م،١٨١/١).

في حين يرى بعض العلماء جواز إدغام الأقوى في الأضعف؛ لسماع ذلك عن العرب (سيبويه، ١٩٨٨، ٤٦٠/٤، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢٨١/٣)، ولورود أشياء منه في القرآن الكريم من نقل الثقات، لا بد من قبولها وعدم إنكارها، وإن كان غيرها أفصح وأقيس (أبوحيّان، ٢٠٠١م، ٣٢/٧، والسمين الحلبي، د.ت، ٥٤٠/٨).

ج. إدغام التاء في الطاء إذا كانت فاءً لـ (تفَعَّل):

جاء ذلك في قوله تعالى: **(فَمَن حَجَّ البيتَ أو اعتَمَرَ فلا جُناحَ عليه أنْ يَطَّوّفَ بِها)** (البقرة: ١٥٨). قال الثعالبي: (ويطّوّف أصله: يتطَوّف) (الثعالبيّ، ١٤١٨، ٣٤٢/١).

وفي قوله تعالى: **(فاعتَزِلوا النّساءَ في المحيضِ ولا تَقرَبوهُنّ حتّى يَطْهُرْنَ)** (البقرة: ٢٢٢). قال الثعالبي: (...وقرأ حمزة وغيره (يطّهرن)بتشديد الطاء والهاء وفتحها) الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٤٤٧/١).

وفي قوله تعالى: **(وإنْ تُصِبْهُمْ سَيّئةٌ يَطّيّروا بموسى ومَنْ مَعَهُ)** (الأعراف: ١٣١). قال الثعالبي: (وقرأ الجمهور بالياء وشدِّ الطاء والياء الأخيرة، وقرأ طلحة بن مُصرّف وغيره (تَطيروا)بالتاء وتخفيف الطاء) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٦٧/٣).

تحدّث الثعالبي ـ فيما سبق من الأمثلة ـ عن ظاهرة إدغام التاء في الطاء، إذا وقعت فاءً لـ (تفعّل)، غير أنه لم يصرّح فيها بلفظ الإدغام، بل اكتفى ـ في بعضها ـ بردّها إلى أصلها التي كانت عليه، كما في: (يطّوّفَ)، أو يستعمل لفظ التشديد في مقابل لفظ الإدغام، كما حدث في: (يَطّهّرن)في قراءة حمزة، وغيره من القراء، وقراءة المصحف فيها بالتخفيف، وكما في: (يطّيّروا)، في قراءة الجمهور.

والعلّة الصوتية لإدغام التاء في الطاء كما حدث في الأمثلة السابقة: هي التقاء صوتين متجانسين في كلمة واحدة، لاتحادهما في المخرج، إذ تخرجان ـ كما يرى القدماء ـ من بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا العليا (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م، ٦٠/١، والأنباري، ١٩٩٧م، ٢٠٨).

وقد جاء وصف القدماء لهذين الصوتين ـ كما يقول أحد الباحثين المحدثين (هو الدكتور كمال محمد بشر) دقيقاً؛ لأنه يتناسب مع نطقنا الحالي لهما (زين العابدين، ١٩٩٨م، ٩٢)، ولهذا يعدّهما المحدثون من الأصوات الأسنانية اللثوية (حسان، ١٩٧٣م، ٧٩، الأصبيعي، ١٩٩٢م، ٣٩).

وعلى الرغم من هذا الاختلاف القائم بين صوتي التاء والطاء، فإن بينهما من الصفات المشتركة كالشدة مثلاً، والاتحاد في المخرج، ما يمهّد لإدغام أحدهما في الآخر، كما مرّ بنا في الأمثلة السابقة، يقول سيبويه: (ومما يُدغَم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان، قولهم: يطّوّعون في: يتطوّعون، ويذّكّرون في: يتذكّرون...والإدغام في هذا أقوى إذا كان يكون في الانفصال، والبيان فيهما عربيّ حسن؛ لأنهما متحركان، كما حسُن في: يختصمون، ويهتدون، وتصديق الإدغام قوله تعالى: (يَطّيَّروا بموسى) (الأعراف: ١٣١) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

ويتضح مما سبق أن إدغام التاء في الطاء ـ كما حدث في الأمثلة التي مرت بنا جائز؛ ولذلك ورد الإظهار فيه إلى جانب الإدغام، ماعدا في: (يطّوّف) (البقرة: ١٥٨ (الذي لم يرد في القرآن إلا مدغماً، وإن كان الإظهار جائزاً في الاستعمال العربي، فتقول: (فلان يتطَّوف). ويلاحظ أنّ إدغام التاء في الطاء هنا، جاء على وفق القوانين الصوتية التي قررها العلماء؛ لأنّه إدغام للصوت الضعيف في الصوت القوي (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١٥٠/١ ـ ١٥١).

٥. إدغام المتقاربين:

أ. إدغام التاء في الذال إذا كانت فاءً لـ (افتعل):

وذلك في قوله تعالى: **(وقَالَ الذي نَجَا منهما وادّكَرَ بعد أُمّةٍ أنا أنبّئُكُمْ بتأويلِهِ)** (يوسف: ٤٥). قال الثعالبي: (وادّكَر أصله: (اذتكر)من الذُّكْر، فقلبت التاء دالاً وأدغم الأول في الثاني) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٣٣٠/٣).

وفي قوله تعالى: **(ولَقَدْ تَركناها آيةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)** (القمر: ١٥). قال الثعالبي: (ومدّكِرٍ أصله: (مذتكِر)، أبدلوا التاء دالاً، ثم أدغموا الذال في الدال، وهذه قراءة الناس) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٣٣٩/٥).

أشار الثعالبي فيما سبق من الأمثلة إلى اجتماع ظاهرتين صوتيتين في باب الافتعال، وهما: الإبدال، والإدغام. وفيما يلي تحليلها صوتياً وعلى النحو الآتي:

١. من القوانين الصوتية التي يوردها اللغويون في باب الإبدال القياسي: أنّ تاء الافتعال إذا وقعت بعد الدال، أو الذال، أو الزاي، فإنها تبدَل دالاً (سيبويه، ١٩٨٨م، ٢٣٩/٤، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٣٥٦/١ـ٣٥٧)، وهذا ما أشار إليه الثعالبي في المثالين الأول والثاني، فذكر أن: (ادّكر ومدّكر)، أصلها: (اذتَكَر ومُذتَكِر)، وقد أبدل فيهما تاء الافتعال دالاً، فصارتا: (اذدَكَر، ومُذدَكِر)، ثم قلبت فيهما الذال دالاً، لأن الإدغام في الحرفين المتقاربين لا يمكن أن يحصل إلاّ بعد جعلهما متماثلَين (الأستراباذي، ٢٠٠٥م، ١٦١/٣)، ثم ادغِمت الدال في الدال، بناءً على القاعدة المذكورة آنفاً.

٢. التعليل الصوتي لإبدال التاء دالاً، ثم إدغام الذال فيها، بعد قلبها دالاً، ـ كما حدث في: (ادّكَر، ومُدّكِر) هو: وقوع التاء زائدة في الافتعال، بعد الذال الواقعة فاءً للكلمة.

والتاء والذال يجمعها نوع من التقارب المخرجي (الأخفش،١٩٩٠م،٥٩١/٢)، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،٤٧/١، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٦٧٠/٢)، ومخرج الذال، مما بين

طرف اللسان وأطراف الثنايا (العليا والسفلى) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،١/ ٤٧، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٦٧٠/٢)، إلاّ أنّ بينهما اختلافاً من حيث الصفة، فالتاء تتصف بالشدّة والهمس، والذال تتصف بالرخاوة والجهر (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، والزجّاج، ٢٠٠٤م، ٤١٤/١، وأنيس، ١٩٧٥، ٤٧، ٦١)، وهذا ما أدّى إلى التنافر الصوتي بين أصوات الكلمة الواحدة، ولذلك لمّا أرادوا التقريب بين الأصوات، وإحداث الانسجام بينها، أبدلوا مكان التاء حرفاً مؤاخياً لها في المخرج، والشّدّة، والانفتاح، ألا وهو الدال (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٦٩، وابن يعيش، د.ت، ١٠/ ١٤٨)، فصارت: (ادّكر، ومدّكِر).

وإبدال التاء دالاً كما حدث في: (ادّكر، ومدّكِر)ـ إنّما كان طلباً للاختصار في الجهد العضلي، وتحقيقاً للمماثلة، وميلاً إلى الانسجام الصوتي، وهذا ما يسميه المحدثون: (التأثر التقدّمي) (زين العابدين، ١٩٩٨م، ١٧٣)، إذ أثرت الدّال المتقدّمة على التاء المتأخّرة عنها، فأبدلت تلك التاء دالاً، متصفة بالجهر، والجلَد، فصارت: (ادذكر، ومندَكِر)، ثم مالوا إلى المماثلة التامة، وذلك بإدغام الدّال في الدّال (ابن جنّي، ١٩٥٤م، ٣٣٠/٢ ـ ٣٣١، والنحّاس، ٢٠٠٥م، ٣٣٥/١)، جرياً على قانون الإدغام، إذ الأصل أن يُدغَمَ الأول في الثاني (الأخفش، ١٩٩٠م، ٥٩١/٢، والزجّاج، ٢٠٠٤م،١ /٤١٤). وهذا هو النوع الأول من الإدغام.

وقد سمّى ابن جني إبدال التاء دالاً، ثم إدغام الذال في الدال، إبدال إدغام (ابن جنّي، ٢٠٠٠م،١ /١٨٨)، لأنه موضع إدغام إذا كان الصوتان منفصِلَين من كلمتين فإذا وقع الصوتان في كلمة كان الإدغام أولى (سيبويه،١٩٨٨م، ٤/ ٤٦٩).

ويلاحظ على هذا الإدغام أنّ الصّوت الأول أثّر في الثاني فأدغم فيه، وهذا ما يسمّيه المحدثون بـ (التأثر الرجعي) (أنيس، ١٩٧٣م، ٧٠، والجندي، ١٩٧٨م، ١٢٦)، أو المماثلة الرجعية (زين العابدين، ١٩٩٨م، ١٧)، ويَكثُر هذا النوع من الإدغام عند علماء القراءات (ابن الجزري، د.ت، ٢١٥/١ ـ ٢٣٨، وأنيس، ١٩٧٣م، ٧٠).

٣. وهناك نوع ثانٍ تابع لإدغام الإبدال، ـ لم يشر الثعالبي إليه ـ، وإنما ذكره الفراء (الفرّاء، د.ت، ٢١٦/١)، وهو إدغام الثاني في الأوّل، أي: إدغام الدال في الذال، في نحو: (اذّكَر، ومُذّكِر)، بالذال فيهما، كما جاءت في بعض القراءات (ابن الجزري، د.ت، ٢/ ١٤٨)، وهذا جائز من الناحية اللغوية؛ لأنّ فيه إتباع الصوت الثاني للأول عند الإدغام (ابن جنّي، ١٩٥٤م، ٣٣١/٢).

والتعليل الصوتي لهذا الإدغام هو: أنّ الصوت الأول ـ وهو الذال ـ وقع فاءً للكلمة، وهو حرف أصليٌّ، وتاء الافتعال حرف زائد، فكرهوا إدغام الأصليّ في الزائد، فقلبوا الزائد إلى جنس الأصليّ وأدغموه فيه (الصيمري، ١٩٨٢، ٨٥٤/٢، وابن يعيش، د.ت،١٥٠/١).

ويطلق المحدثون على هذا النوع من الإدغام: (التأثر التقدّمي)، وهو أن يتأثر الصوت الثاني بالأول، فيدغم فيه (أنيس، ١٩٧٣م، ٧٠، وأنيس، ١٩٧٥م، ١٨١)، وهو واقع في العربية، ولكن ليس كشيوع إدغام الأول في الثاني (أنيس، ١٩٧٣م،٧٠، وأنيس، ١٩٧٥م، ١٨١). وعلى الرغم من جواز إدغام الثاني في الأول، إلاّ أنّ جمهور العلماء لم يستحسنوه؛ لمخالفته قواعد الإدغام، التي تُؤثِر إدغام الأول في الثاني (الأخفش، ١٩٩٠م، ٥٩٢/٢، والنحّاس، ٢٠٠٥م،١/٣٣٥).

وممّا يدعو إلى الغرابة أن الفراء، جعل إدغام الثاني في الأول في نحو: (اذّكَر، ومُذّكِر)، بالذال فيهما هو القياس، إذ قال: (وأما الذين غلّبوا الذال، فأمضوا القياس، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد، فأدغموا تاء الافتعال عند الذال والثاء والطاء) (الفرّاء، د.ت،٢١٦/١).

ويُحتمَل أن يكون هذا الإدغام ظاهرة لهجية لبعض القبائل العربية، وهذا ما أشار إليه الفراء بقوله: (وبعض بني أسد يقولون: (مُذّكِر)، فيغلّبون الذال، فتصير ذالاً مشدّدة) (الفرّاء، د.ت،١٠٧/٣).

والتفسير الذي يمكن أن يُقدَّم لهذه الظاهرة الصوتية، هو أن يقال: إنّ بني أسد ربّما آثروا الصوت الرّخو، وهو: (الذال)، على الصوت الشديد، وهو: (الدال)، وهذا ما يضفي عليها صبغة حضرية (النعيمي، ١٩٨٠م، ١٧٣)؛ لأن القبيلة التي تفضّل الصوت الرّخو على نظيره الشديد، إما أن تكون قبيلة حضرية، أو ممن احتك بأهل الحضر (النعيمي، ١٩٨٠م، ١٧٣).

والذي يبدو لي ـ في هذه المسألة ـ أنّ النوع الأوّل، أي: إدغام الذال في الدال هو الراجح؛ لكونه الأكثر شيوعاً في العربية، والأمثل وضعاً لما استقرت عليه اللغة النموذجية المشتركة، ولذلك استجاده كثير من العلماء (ابن جنّي، ١٩٥٤م، ٣١/٢، والزجّاج، ٢٠٠٤م، ٣/ ٩٢، و٧١/٥)، فضلاً عن نزول القرآن الكريم به، وورود القراءات الصحيحة المتواترة ـ المسندة إلى النبي (صلى الله عليه وسلّم (ـ عليه.

ب. إدغام التاء في الذال إذا كانت عيناً لـ (افتعل):

وذلك في قوله تعالى: **(وجاء المُعَذّرونَ مِنَ الأعرابِ لِيُؤذَنَ لهم)**(التوبة: ٩٠). قال الثعالبي: (وأصل اللفظة (المعتذرون) فقلبت التاء ذالاً وأُدغِمَت) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٤٣/٣).

أشار الثعالبي في المثال السابق إلى إدغام التاء في الذال، إذا وقعت عيناً لـ (افتعَلَ)، كما حدث في: (المعذّرون)، بفتح العين وتشديد الذال، وهي قراءة الجمهور، ويحتمل هذا اللفظ أن يكون اسم فاعل من (افتعل)، فيكون أصله: (المعتذرون) (ابن جنّي،١٩٩٩م، ٦٠/١، وابن الجزري، د.ت، ٢٨٠/٢)، بالتاء .ويؤيد هذا الاحتمال قراءة سعيد بن جبير: (المعتذرون)، وهي قراءة شاذّة (أبوحيّان، ٢٠٠١م، ٨٣/٥).

وأخذ بهذا الرأي أكثر اللغويين، كالأخفش، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن الأنباري، وغيرهم. (الأخفش، ١٩٩٠م، ٣٣٥/٢، والفرّاء، د .ت،٤٤٨/١، وأبوحيّان،٢٠٠١م، ٧٣/٥، والنحّاس، ٢٠٠٥م، ٢٠/٢، والزجّاج، ٢٠٠٤م، ٤٦٤/٢، وأبوحيّان، ٢٠٠١م، ٨٣/٥ .ولم أقف على رأي ابن الأنباريّ في كتبه).

وذهب المبرّد إلى أنه لا يجوز أن يكون فيه المعتذرين، ولا يجوز الإدغام فيقع اللبس. (النحّاس، ٢٠٠٥م، ٢/ ٢٠٥).

والمراد بوقوع اللبس ـ كما في كلام المبرّد ـ هو أنّ إدغام التاء في الذال في المعتذرين، يؤدّي إلى اللبس في اشتقاق (المعذرون)، هل هو من (اعتذر)، المزيد بحرفين، أو من (عذّر)المضعّف العين ؟، ولذلك يرى عدم جواز الإدغام فيه.

والاحتمال الثاني: هو أن يكون (المعذّرون)اسم فاعل من (فعَّل) المضعّف العين (أبو زرعة، د.ت، ٣٢١، وأبوحيّان،٢٠٠١م، ٨٣/٥).

وثمّة فرق بين البناءين من حيث المعنى: فـ (المعتذرون): هم الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن لهم عذر، و (المعذّرون)بتضعيف العين: معناه تكلّف العذر ولا عذر له (أبو زرعة، د.ت،٣٢١).

والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، وهو أنه اسم فاعل من افتعل، ووزنه (مُفتعِلون)بضم الميم وكسر العين؛ لأنّ (المُعذِّرون)هم الذين انتحلوا الأعذار، وتخلّفوا عن الجهاد فهم المعتذرون من الأعراب (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣٣، وابن جنّي،

٢٠٠٠م، ٤٧/١)، هذا من ناحية .ومن ناحية أخرى أنّ الله تعالى ذكّرهم بعد ذلك بقوله: (يَعتذرونَ إليكم إذا رَجَعتم إليهم) (التوبة: ٩٤).

والذي سوّغ لإدغام التاء في الذال، كما حدث في: (المعذّرون)، هو تقارب الصوتين في المخرج، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠ م،٤٧/١)، ومخرج الذال مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، العليا والسفلى (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م، ٤٧/١).

وقانون المماثلة بين الأصوات يقتضي ـ عند التقاء الصوتين المتقاربين في المخرج، والمختلفين في الصفة ـ أن ينجذب أحدهما إلى الآخر، حتى يتماثلا في جميع الصفات أو في بعضها (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١٤٧/١، والشيرازيّ، ١٩٩٣م،٢٧٥/١).

وفي هذا الإدغام تماثل الصوتان في صفتي الشدة والهمس، وإذا أدغمت التاء في الذال فإنّهما تتماثلان في الرخاوة والجهر، وإذا أثر الصوت الثاني وهو (الذال)في الصوت الأول وهو (التاء)، كما في (المعذّرون)، سمّي بالتأثر المُدبِر الكامل (عبدالتوّاب، ٢٠٠٣م، ٢٢(، أو المماثلة الرجعية التامّة (زين العابدين، ١٩٩٨م،١٨١).

ج. إدغام التاء في الثاء إذا كانت فاء لـ (تفاعَل):

وذلك في قوله تعالى: **(فَمَنْ حجَّ البيتَ أوِ اعتَمَرَ فلا جُناحَ عليه أنْ يَطَّوّف بهما)** (التوبة: ٣٨). قال الثعالبي: (وقوله: (اثّاقَلتم)أصله تثاقلتم، وكذلك قراءة الأعمش) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٠٤/٣).

أشار الثعالبي في المثال السابق إلى إدغام التاء في الثاء، إذا وقعت فاءً لـ (تفاعَل)، فذكر أنّ: (اثّاقلتم)أصله: (تثاقلتم)كما هي في قراءة الأعمش والمطوّعي (ابن خالويه، ٢٠١٢م، ٥٣، وأبو حيّان، ٢٠٠١م، ٤١/٥)، وهو أصل قراءة الإدغام عند الجمهور من القراء، وذكر أبوحيّان (أبوحيّان، ٢٠٠١م، ٤١/٥)، وغيره (السمين الحلبيّ، د.ت، ٤٦٤/٣، والشوكانيّ،١٤١٤هـ، ٣٦١/٢ (أنّ (اثّاقلتم)فعل ماض جاء بمعنى المضارع، أي: تتثاقلون.

وعند الإدغام، فإن التاء تدغم في الثاء، بعد قلب التاء إليها، ليماثل الصوت الأوّل الصوت الثاني كل المماثلة (أنيس، ١٩٧٥،١٩٠، والنعيمي، ١٩٨٠، ١٧٤)، فتتحوّل الصيغة إلى (ثّاقلتم)، وهذا ما يرفضه الدرس الصوتي الحديث؛ لأنه يؤدي إلى الابتداء بمقطع صوتي مؤلّف من صوتين صامتين متتاليين لا يفصل بينهما صائت، وهذا ما عبّر عنه علماء العربية بقولهم: (لا يبدأ بساكن) (الأستراباذي، ٢٠٠٥ م، ٢٥١/٢)، أو كما قال الفرّاء: المبتدأ به لا يكون إلا متحرّكاً (الفرّاء، د.ت، ٤٣٨/١).

وللتخلص من هذه المعضلة الصوتية، كان لا بدّ من الاستعانة بهمزة الوصل، حتّى يتمّ الإدغام؛ لأنّ الصوت المدغَم (التاء)، غير متبوع بصائت، وهذا ما أشار إليه الفراء بقوله: (وكأنّ إحداهم الألف ليقع بها الابتداء) (الفرّاء، د.ت، ٤٣٨/١) وبهذا تشكّل مقطع صوتي موافق لطبيعة العربية، كما يتضح في الشكل الآتي:

قبل الإدغام	إدغام التاء في الثاء	الاستعانة بهمزة الوصل	قبل الإدغام
تَثاقَلْتُم	ثّاقَلْتُم	اثّاقَلْتُم	تَثاقَلْتُم
(ص ح) + (ص ح ح) + ((ص ح ص ح ص) (ص	(ص ص ح ح) + (ص ح ص) + (ص ح ص)	+ ((ص ح ص +(ص ح ح) (ص ح ص+ ((ص ح ص)	(ص ح) + (ص ح ح) + ((ص ح ص ح ص) (ص

والتعليل الصوتي للإدغام في: (اثاقلتم)، هو أن التاء اجتمعت مع الثاء وهما متباينان في المخرج، وفي صفة الرخاوة والشدة إلا أن بين مخرجيهما نوع من التقارب، إذ يخرجان من طرف اللسان، فتختص التاء بأصول الثنايا العليا، والثاء بأطرافها (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،١ /٤٧، وابن الجزري، د.ت،١٦٠/١)، كما يشترك الصوتان في صفة الهمس (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣٣، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،٦٠/١، وأنيس، ١٩٧٥م، ٤٧،٦١)، والاستفالة، والانفتاح، والإصمات (الأنباري، ١٩٩٧م، ٢٠٩، وابن يعيش، د.ت، ١٢٩/١، ١٣٠).

وهذا القرب في المخرج، والاتفاق في بعض الصفات هو الذي أدّى إلى إدغام التا في الثاء في: (تثاقلتم)، فصارت: (اثّاقلتم)، فتحول صوت التاء المتصف بالشدة إلى صوت الثاء الموصوف بالرخاوة (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣٣، وابن جنّي، ٢٠٠٠م، ٤٧/١)، وفي هذا الإدغام تقليل للجهد العضلي (زين العابدين، ١٩٩٨م، ١٧٩)، مع ما فيه من وضوح للصوت بما ينسجم مع طبيعة الحضارة، لذا يمكن القول: إن هذا الإدغام منبثق من القبائل الحضرية (النعيمي، ١٩٨٠م، ١٧٤).

د. إدغام التاء في حروف الصّفير:

١. إدغام التاء في الزاي:

وذلك في قوله تعالى: **(حتّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخرُفَها وازّيّنَتْ)** (يونس: ٢٤). قال الثعالبي: (وقرأ ابن مسعود وغيره (وتزيّنت) وهذه أصل قراءة الجمهور) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٤٣/٣).

٢. إدغام التاء في السّين:

وذلك في قوله تعالى: **(لا يَسّمّعونَ إلى الملإِ الأعلى)**(الصّافّات: ٨). قال الثعالبي: (وقرأ حمزة وعاصمٌ في رواية حفص: (لايَسَّمَّعون)، بشدِّ السّين والميم بمعنى: (لا يتسمَّعون) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٢٣/٥).

٣. إدغام التاء في الصّاد:

وذلك في قوله تعالى: **(ما يَنظُرونَ إلّا صَيحَةً واحدةً تأخُذُهم وهُمْ يَخِصّمون)** (يس: ٤٩). قال الثعالبي: (وأصل (يَخِصِّمون): يختصِمون، والمعنى: وهم يتحاورون ويتراجعون الأقوال بينهم، وفي مصحف أُبَيّ بن كعب (يختصِمون)) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ١٥/٥).

أشار الثعالبي في الأمثلة السابقة إلى إدغام التاء في حروف الصفير، فذكر أنّ التاء أدغمت في الصاد والسين والزاي في: (يَخِصِّمون)، و (لايسّمّعون)، و (ازّيّنت)، والأصل في تلك الأفعال قبل الإدغام: (يختصمون)، و (لايتسمّعون)، و (تزيّنت)، بالتاء على الأصل، كما جاءت في بعض القراءات الشاذة (الفرّاء، د.ت، ٣٧٩/٢، والنحّاس، ٢٠٠٤م، ٣٩٧/٣)، وسبب شذوذها هو مخالفتها لرسم المصحف العثماني.

وعلى الرغم من تشذيذ قراءة إظهار التاء في الأمثلة السابقة، إلا أنّ بعض اللغويين استشهد بها للدلالة على أصل قراءة الإدغام، فذكر أبو حيان (أبوحيّان، ٢٠٠١، ٣٤٠/٧ (وغيره (السمين الحلبي، د.ت، ٤٨٧/٥، والشوكاني، ١٤١٤هـ، ٤/ ٣٧٣) أنّ قراءة (يختصمون) بالتاء جاءت على الأصل. وأشار الفراء إلى أن في قراءة أُبَيّ بن كعب: (يختصمون) حجّة لمن يُشدِّد (الفراء، د.ت، ٣٧٩/٢)، واستجاد الزجاج قراءة: (يختصمون) بفكّ الإدغام، إذ قال: (وقُرئت يختصمون، وهي جيّدة) (الزجّاج، ٢٠٠٤م، ٢٩٠/٤).

وعلّل الزمخشري لقراءة: (تزيّنت)، قائلاً: (وأصل (ازّيّنَت): تَزيّنَت، فأدغم، وبالأصل قرأ عبد الله) (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٢٣٣/٢)، وذهب إلى ذلك أبو

حيّان (أبو حيّان، ٢٠٠١م، ١٤٣/٥)، وغيره (السمين الحلبي، د.ت، ٢١/٤، والشوكاني، ١٤١٤هـ، ٤٣٧/٢).

والذي أميل إليه، وأراه راجحاً هو القراءة بإظهار التاء على الأصل؛ وذلك لسببين:

أحدهما: إنّ إظهار التاء أخفّ على اللسان من الإدغام، إذ يتطلّب الإدغام جهداً عضلياً أكثر حال النطق بهذه الكلمات.

الثاني: ورود بعض هذه الكلمات، في مواضع عديدة من القرآن الكريم بلا إدغام، كقوله تعالى: (وما كنتَ لديهم إذ يَخْتَصِمون) (آل عمران: ٤٤)، وكقوله تعالى: (ثمّ إنّكم يومَ القيامةِ عندَ ربّكُم تَخْتَصِمون) (الزُّمَر: ٣١).

والتعليل الصوتي الذي يقف وراء هذا الإدغام هو؛ العلاقة الصوتية القائمة بين التاء وحروف الصفير، وهي التقارب المخرجي (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٦١/٤، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٧٠١/٢ـ ٧٠٢)، إذ تخرج حروف الصفير مما بين الثنايا وطرف اللسان، ولكن تختص التاء بأصول الثنايا، وتختص حروف الصفير بفويق الثنايا السفلى (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٣٣/٤، ٢٠٨، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،١/ ٤٧).

وهذا ما أقرّه القدماء من علماء اللغة، يقول سيبويه: (والطاء، والدال، والتاء يدغمن كلُّهنّ في الصاد، والزاي، والسين، لقرب المخرجين، لأنهنّ من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلاّ أنّ الطاء وأختيها من أصل الثنايا، وهنّ (أي: حروف الصفير (من أسفله قليلاً، مما بين الثنايا) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٦٢/٤ ـ ٤٦٣).

أما المحدثون من علماء الأصوات فيرى بعضهم أن العلاقة الصوتية القائمة بين التاء وحروف الصفير أوثق من ذلك، إذ ذهبوا إلى تسمية سبعة أصوات بـ (الأسنانية اللثوية)، وهي: (التاء، والطاء، والدال، والضاد، والزاي، والصاد، والسين) (حسّان، ١٩٧٩م، ٧٩، عبد التواب، ١٩٩٧م، ٤٥)، مما يشير إلى وجود ترابط مخرجي متين بينها.

وأما ما يتعلق بصفات هذه الأصوات، فإن التاء والصاد والسين حروف مهموسة، والزاي مجهورة، كما أن التاء شديدة، وأحرف الصفير رخوة (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، وابن جنّي، ٢٠٠٠م،١/ ٦٠ ـ ٦١).

وهذا دليل على وجود بعض الفروق الصوتية بين التاء وحروف الصفير، غير أن انفراد الأخيرة ببعض الصفات الصوتية، هو الذي هيّأ لإدغام التاء فيها. فالصاد قوِيَت بالإطباق، والاستعلاء، والصفير (القسطلاني، ١٩٧٢م،١/١٩٧)، والسين قَوِيَت بالصفير، والزاي قَوِيَت بالجهر والصفير (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١/ ١٥٠ـ ١٥١)، ولذلك جاز إدغام التاء في كلّ واحد منها، لتآخي التاء مع الصاد والسين في صفة الهمس، فضلاً عن العلاقة المخرجية بينهنّ، وامتياز الصاد بالإطباق والاستعلاء، والزاي بالجهر والصفير، والسين بالهمس، وهذا كلّه مما يُحسّن الإدغام ويقويه لأنه ينقل صوت التاء من الضعف إلى القوّة (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١/ ١٥٠ ـ١٥١).

هـ. إدغام النون في الميم:

وذلك في قوله تعالى: **(عَمَّ يتساءلونَ)** (النبأ: ١). قال الثعالبي: ((عمَّ) أصلها: (عَنْ ما)، ثم أدغمت النون بعد قلبها في الميم لاشتراكهما في الغنّة، فبقي (عمّا)في الخبر وفي الاستفهام، ثمّ حذفوا الألف في الاستفهام فرقاً بينه وبين الخبر) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٥٤١/٥).

أشار الثعالبي في الآية الكريمة السابقة، إلى إدغام النون الساكنة في الميم، كما حدث في: (عَمَّ)، حيث ذكر أنها متركّبة من: (عن)و (ما)، فأدغم الصوت الأول (النون)، في الصوت الثاني (الميم)، وذلك بعد قلب الأول إلى جنس الثاني، لأن الصوتين المتقاربين إذا أريد إدغامهما فلا بد من جعلهما مثلين (الأستراباذي، ٢٠٠٥م، ١٦١/٣).

وعلّة هذا الإدغام أي: إدغام النون في الميم ـ كما حصل في: (عَمَّ) هي: وجود العلاقة الصوتية المتينة التي تربط بينهما، فالنون تُدغَم فيها، لاشتراكها مع الميم في صفات صوتية عديدة كالغُنّة، والجهر، والانفتاح، والاستفالة، والرّقة، والتوسُّط بين الرّخوة والشّدة (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٥٢/٤، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢٧٢/٣).

وقد أوضح سيبويه سبب إدغام النون في الميم، مبيّناً ما بينها وبين الميم من صلة بقوله: (وتُدغَم النون مع الميم؛ لأنّ صوتها واحد وهما مجهوران، قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتّى إنّك تسمع النون كالميم، والميم كالنون حتّى تتبيّن، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجان متباعدين، إلاّ أنّها اشتبها؛ لخروجهما جميعاً من الخياشيم) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤٥٢/٤ ـ ٤٥٣ .(وهذا القرب هو الذي أدّى إلى إدغام النون في الميم، في نحو: (عَمَّ).

وتجدر الإشارة إلى أنّ علماء التجويد والقراءات، قد تحدّثوا عن هذا الإدغام، في باب أحكام النون الساكنة والتنوين، فذكروا أنّ النون الساكنة والتنوين تدغَم في الميم اتفاقاً (أبوحيّان، ١٩٩٨م، ٣٣٨/١، الغرناطي، ١٤٠٣هـ، ٢٤٧/١)، إلّا أنهم اختلفوا في الغنة المصاحبة للإدغام، هل هي غنّة الميم أو غنّة النون؟

فمذهب بعضهم وهو اختيار مكّي بن أبي طالب أنّ الغنة للنون والتنوين .أما مذهب المحققين واختيار ابن الباذش، فالغنّة للميم المبدلة من النون المدغمة في الميم (أبوحيّان، ١٩٩٨م، ١/ ٣٣٨، والغرناطي، ١٤٠٣هـ،٢٤٧/١)، وهو مذهب الجمهور (الغرناطي، ١٤٠٣ هـ،٢٤٧/١) والنحاة. ويرى ابن الباذش (الغرناطي،١٤٠٣هـ،٢٤٧/١ (أنّ السبب في كون الغنة للميم لا للنون، هو أنّهم حذفوا النون في الرّسم في نحو: (عَمَّ يتساءلون) (النبأ: ١)، و (مِمَّ خُلِقَ) (الطارق: ٥).

وهذا الإدغام الذي حدث بين النون والميم في: (عمّ)، إدغام ناقص بغنّة، وسُمّي بذلك، لذهاب النون في الإدغام، مع بقاء صفتها، وهي: الغنّة (الحصريّ، ١٩٩٥م، ١٧٥، وابن القاصح، ١٩٥٤م، ١٦٧). وبقاء الغنّة عند إدغامها هو الأولى عند جمهور العلماء (ابن يعيش، د.ت،١٠/١٤٤، والأستراباذي، ٢٠٠٥ م، ٢٧٣/٢).

و. إدغام لام (هل) في التاء:

وذلك في قوله تعالى على لسان الحواريّين: **(هَلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ علينا مائِدةً من السَماءِ)** (المائدة: ١١٢). قال الثعالبي: (وقرأ الكسائيّ: (هل تستطيع ربَّك (بالتاء ونصب الباء من (ربّك)، والمعنى: هل تستطيع سؤال ربّك؟ وأدغم اللام في التّاء أعني الكسائيّ) (الثعالبيّ، ١٤١٨هـ، ٤٣٨/٢).

أشار الثعالبي عند تفسيره للآية السابقة إلى إدغام لام (هل)في التاء، والمتمثل في قراءة الكسائي (ابن الجزري، د.ت، ٧/٢): (هل تستطيع)، بالتاء وإدغام لام (هل)فيها: (هتّستطيعُ)، وقراءة المصحف بالياء وإظهار اللام، وهي قراءة حفص عن عاصم، وقراءة ابن كثير، وابن عامر (أبو عمرو الدّاني، ١٩٨٨م، ٤٣، وابن الباذش، ١٤٠٣هـ،٢٤٢/١).

وقد اختلف القراء في إدغام لام (هل) و (بل)في بعض الأصوات القريبة منها في المخرج، يقول ابن الجزري: (لام (هل وبل (اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف، وهي: التاء، والثاء، والزاي، والسين، والضاد، والطاء، والظاء، والنون) (ابن الجزريّ، د .ت، ٦/٢ .(والذي يعنينا من هذه الحروف ـ المذكورة آنفاً ـ هو حرف التاء.

أمّا اللغويون فقد ذهب سيبويه وابن جني إلى أنّ إدغام اللام في التاء جائز ليس بواجب (سيبويه، ١٩٨٨م، ٤/ ٤٥٨، وابن جنّي، ٢٠٠٠م، ٣٤٧/١)، وذكر

الفرّاء أنّ (العرب تُدغِم اللام من (هل) و (بل) عند التاء خاصّة. وهو في كلامهم عالٍ كثير، يقول في هل تدري: (هتّدري)، فقرأها القرّاء على ذلك) (الفرّاء، د.ت،١/ ٤٤١).

وعلى الرغم مما ذكره الفراء من جواز إدغام لام (هل) و (بل)في التاء، وورود القراءة بها، إلاّ أنّه مال إلى الإظهار، ولم يكتف بهذا فحسب، بل رأى أن الإدغام جاء من تأثير الصنعة، وليس من السليقة والطبع، فهو يقول: (وإنما صرت أختار (هَلْ تَستطيعُ) و (بَلْ نَظُنّكُم) (هود: ٢٧ (فأُظْهِرُ لأنّ القراءة من المولّدين مصنوعة لم يأخذوها بطباع الأعراب، وإنما أخذوها بالصنعة) (الفرّاء، د.ت، ٢ /٣٥٣). فالفراء لم ينكر جواز الإدغام؛ لورود ذلك في كلام العرب، كما في قول مزاحم العُقَيلي: (العُقَيلي، ١٩٧٦م، ٩٧).

فَـدَعْ ذا ولكن هتُّعين مُتَيّماً على ضوء برق آخِرِ الليل ناصِبِ

وأصل الكلمة على الإظهار: (هلْ تُعينُ)؟ ولكنه يخصّ الإظهار بتلاوة القرآن الكريم، مبيّناً سبب ذلك بقوله: (وإنما استحب في القراءة خاصة تبيان ذلك؛ لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد، وإنّما بني القرآن على التّرسُّل والترتيل وإشباع الكلام، فتبيانه أحبّ إليّ من إدغامه، وقد أدغم القرّاء الكبار (وهي قراءة حمزة والكسائي) (السّيرافي، ١٩٨٦م،٢١ (وكل صواب) (الفرّاء، د.ت،١/٤٤١).

ونستنتج مما سبق أن كلا الوجهين، أي: إظهار اللام، وإدغامها في التاء جائز؛ لورود ذلك عن العرب، ولورود القراءات المتواترة بها عن النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)، مما لا سبيل إلى ردّها أو إنكارها.

وأما المسوّغ الصوتي لإدغام اللام في التاء ـ كما حدث في: (هلْ تستطيع) في قراءة الكسائي وغيره من القراء السبعة ـ فهو ما يلي:

١. بسبب العلاقة الصوتية بين اللام والتاء، وذلك أنّ مخرج اللام قريب من مخرج التاء، إذ يجمعها طرف اللسان (ابن السّراج،١٩٨٥م، ٤٣٠/٣، ٤١٣، والأستراباذي، ٢٠٠٥م، ٢٧٩/٣).
٢. أنّ إدغام لام (هلْ وبلْ) في التاء، إنّما حدث لشبهها بلام التعريف في لزوم السكون، فأشبهت في ذلك اجتماع المثلين الذي أوّلها ساكن، ولهذا جاز فيها الإدغام كما جاز فيها الإظهار (القيسيّ، ١٩٨٧م، ١٥٣/١ـ ١٥٤، وابن عصفور، ١٩٧٩م، ٦٩٢/٢ ـ ٦٩٣).

ويتّضح مما سبق أن الاختلاف في إظهار اللام، أو إدغامها في التاء راجع إلى اختلاف اللهجات، فالإظهار لهجة أهل الحجاز، والإدغام لهجة بني تميم ومن جاورهم.

٦. الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكننا الخروج بالنتائج الآتية:

١. تبيّن أثناء البحث أنّ الإدغام ظاهرة صوتية الغرض منه التخفيف من الثقل في الكلام، والتخلّص من الأصوات المتماثلة أو المتقاربة؛ لأنّ ذلك يتطلّب جهداً أكبر لأعضاء النطق في تكرار عملها، وهذا ما يسبّب تكلّفاً في إخراج الصوت.
٢. أثبت البحث أنّ الفكّ والإدغام ظاهرتان لهجيّتان من لهجات العرب، وكلّ منهما فصيحة في اللغة والاستعمال، وقد نزل القرآن الكريم بهما، إلّا أنّ فكّ المثلين أكثر من الإدغام.
٣. ظهر أثناء البحث أنّ الثعالبي كان يستعمل مصطلح الإدغام تارة، ومصطلح التشديد تارة أخرى.
٤. أكّد البحث أنّ التقاء الساكنَين في إدغام المثلين كما حصل في نحو قوله تعالى: (لايضارّ): لا يُعدّ خروجاً على قواعد اللغة ـ خلافاً لسيبويه وابن عصفور ـ لمجيئه على القياس؛ لأنّ من شروط التقاء الساكنَين عندهم أن يكون الساكن الأول منهما حرف مدّ أو لين، والثاني حرفاً مدغَماً فيما بعده في كلمة واحدة، وهذا ما حصل في: (لا يُضَارّ).
٥. أفاد البحث أنّه يشترط في الإدغام وجود علاقة متينة بين الصوتين: المدغَم والمدغَم فيه، كالاتحاد أو في التقارب في المخرج بين التاء والدال في إدغام المتجانسَين في نحو: (ادّراك، وادّاركوا)، أو بين التاء والطاء في نحو: (يطّوف، ويطّيّروا)، أو بين التاء والذال في نحو: (المعذّرون)، أوبين التاء والثاء في نحو: (اثّاقلتم)، أو بين التاء وحروف الصفير في نحو: (ازّيّنت، ولا يسّمّعون، ويخصّمون)، وكالاشتراك في الصفة عند إدغام النون في الميم في نحو: (عمّ)، إذ اشتركتا في صفات متعدّدة كالغنّة، والجهر، والانفتاح، والاستفالة، والرّقّة، والتوسّط بين الرخاوة والشّدة.
٦. وأخيراً أبان البحث أنّ الثعالبيّ في تناوله لمسائل الإدغام، قد سار على نهج من سبقه من علماء التفسير؛ ولذلك لا نكاد نجد له رأياً مغايراً لآرائهم.

٧. قائمة المصادر

القرآن الكريم.

إبراهيم أنيس. (١٩٧٥م). الأصوات اللغوية. ط٥. مصر: دار الأنجلو المصرية.

ابن الباذش. (١٤٠٣ هـ). الإقناع في القراءات السبعة. تح: د. عبد الحميد قطامش. ط١. دمشق: دار الفكر .

ابن الجزري. (د.ت). النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع. (د.ط) مصر: المطبعة التجارية الكبرى.

ابن السراج. (١٩٨٥م). الأصول في النحو. تح: د. عبد الحسين الفتلي. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القاصح البغدادي. (١٩٥٤م). سراج القارئ المبتدىء وتذكار المقرئ المنتهي. راجعه شيخ المقارئ المصرية: على الضباع. ط٣. مصر: مصطفى البابي الحلبي.

ابن جني. (د.ت). الخصائص. تح: محمد علي النجار. (د.ط). بيروت: عالم الكتب.

ابن جني. (١٩٥٤م). المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني. ط١. بيروت: دار إحياء التراث القديم.

ابن جني. (١٩٧٠ م). التصريف الملوكي. تح: سعيد بن مصطفى النعسان. ط٢. دمشق: دار المعارف للطباعة.

ابن جني. (١٩٩٩ م). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ابن جني. (٢٠١٢م). سر صناعة الإعراب. تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر. ط ٣. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خالويه. (١٤٠١هـ). الحجة في القراءات السبع. تح: د. عبد العال سالم مكرم. ط٤. بيروت: دار الشروق.

ابن عصفور الأشبيلي. (١٩٧٩م). الممتع في التصريف. تح: د. فخرالدين قباوة. ط٤. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.

ابن عطية الأندلسي. (١٤٢٢هـ). تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن يعيش. (د.ت). شرح المفصل. (د.ط). بيروت: عالم الكتب.

ابن يعيش. (١٩٧٣م). شرح الملوكي في التصريف. تح: د. فخر الدين قباوة. ط١. حلب: المكتبة العربية.

أبو إسحاق الزجاج. (٢٠٠٤م). معاني القرآن وإعرابه. تح: د. عبد الجليل عبده شلبي. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش. (١٩٩٠م). معاني القرآن. تح: د. هدى محمود قراعة. ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو العباس السمين الحلبي. (د.ت). الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون. تح: د. أحمد محمد الخراط. (د.ط). دمشق: دار القلم.

أبو القاسم الزجاجي. (١٩٨٤م). الجمل في النحو. تح: علي توفيق الحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو القاسم الزمخشري. (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو بكر الأنباري. (١٩٦٣ م). شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. تح: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف.

أبو جعفر النحاس. (٢٠٠٥م). إعراب القرآن. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو حيان الأندلسي. (٢٠٠١م). البحر المحيط في التفسير. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وزملاؤه. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو زرعة ابن زنجلة. ((د، ت)). حجة القراءات. تح: سعيد الأفغاني. (د.ط). القاهرة: دار الرسالة.

أبو زكريا الفراء. (د.ت). معاني القرآن. تح: أحمد يوسف نجاتي وزميله. (د.ط). بيروت: دار السرور.

أبو زيد الأنصاري. (١٩٨١م). النوادر في اللغة. تح: محمد عبد القادر. ط١. بيروت: دار الشروق.

أبو زيد الثعالبي. (١٤١٨هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تح: الشيخ محمد علي معوض وزميله. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

أبو سعيد السرافي. (١٩٨٦م). إدغام القراء. تح: محمد علي عبد الكريم الرديني. ط٢. دمشق: دار أسامة.

أبو عبد الله الشيرازي. (١٩٩٣م). الموضح في وجوه القراءات وعللها. تح: عمر حمدان الكبيسي. ط١. مكة المكرمة: د.مط.

أبو عمرو الداني. (١٩٨٨م). التحديد في الاتقان والتجويد. تح: د. غانم قدوري الحمد. ط١. العراق: مكتبة دار الأنبار.

أبو محمد الصيمري. (١٩٨٢م). التبصرة والتذكرة. تح: د. فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين. ط١. دمشق: دار الفكر.

أحمد علم الدين الجندي. (١٩٧٨م). اللهجات العربية في التراث. (د.ط). ليبيا: الدار العربية للكتاب.

أحمد مختار عمر. (١٩٧٦م). دراسة الصوت اللغوي. (د.ط) القاهرة .

إسماعيل بن حمّاد الجوهري. (١٩٨٧م). تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.

إميل بديع يعقوب. (١٩٩٢م). ديوان جميل بثينة. تح: إميل بديع يعقوب. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

برجشتراسر. (٢٠٠٣م). التطور النحوي للغة العربية. ط٤. القاهرة: مكتبة الخانجي.

تمام حسان. (١٩٧٣م). اللغة العربية مبناها ومعناها. (د.ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جلال الدين السيوطي. (١٩٨٧م). الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جواد كاظم عناد. (١٩٩٤م). توجيه القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن حتى نهاية القرن الثالث الهجري. بغداد: جامعة بغداد.

حسام سعيد النعيمي. (١٩٨٠م). الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني. (د.ط). بغداد: دار الرشيد.

الحصري. (١٩٩٥م). أحكام قراءة القرآن الكريم. تعليق: محمد طلحة بلال منيار. مكة المكرمة: المكتبة المكية.

حنا جميل حداد. (١٩٨٠م). معجم شواهد النحو الشعرية. ط١. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (١٩٨٨م). العين. تح: د. مهدي المخزومي وزميله. ط١. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

رضي الدين الأستراباذي. (٢٠٠٥م). شرح شافية ابن الحاجب. تح: محمد نور الحسن وزميليه. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رمضان عبد التواب. (١٩٩٧م). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي.

سيبويه. (١٩٨٨م). الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي.

شهاب الدين الدمياطي. (٢٠٠٦م). إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تح: أنس مهرة. ط٣. لبنان: دار الكتب العلمية.

شهاب الدين القسطلاني. (١٩٧٢م). لطائف الإشارات لفنون القراءات. تح: د. عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان. (د.ط). القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

عبد الحميد الهادي الأصبيعي. (١٩٩٢م). الدراسات الصوتية عند علماء العربية. ط١. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

عبد الصبور شاهين. (١٩٨٧م). أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء). ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد العزيز الصيغ. (٢٠٠٧م). المصطلح الصوتي في الدراسات العربية. ط١. دمشق: دار الفكر.

عبده الراجحي. (٢٠١٥م). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. ط٤. عمان: دار المسيرة.

العقيلي. (١٩٧٦م). شعر مزاحم. تح: د. نوري حمودي القيسي وزميله. القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية.

غانم قدوري الحمد. (١٩٨٦م). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ط١. بغداد: مطبعة الخلود.

محمد بن علي الشوكاني. (١٤١٤هـ). فتح القدير. ط١. دمشق: دار الكلم الطيب.

محمد زين العابدين. (١٩٩٨م). الأصوات العربية بين اللغويين والقراء. (د.ط) المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر الإسلامية.

محمد سالم محيسن. (١٩٩٨م). القراءات وأثرها في علوم العربية. ط١. بيروت: دار الجيل.

مكي بن أبي طالب القيسي. (١٩٧٤م). الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تح: د. أحمد حسن فرحات. (د.ط). دمشق: د.مط.

مكي بن أبي طالب القيسي. (١٩٨٧م). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تح: د. محيي الدين رمضان. ط٤. بيروت: مؤسسة الرسالة.

مي فاضل الجبوري. (٢٠٠٠م). القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث. ط١. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

وسام طلال البكري. (٢٠٠٩م). الدراسات اللغوية القرآنية عند الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني. ط١. حمص: دار الإرشاد للنشر.